الحلقات القرآنية الانطلاقة والانتشار

فإن مما اختصت به هذه الأمة المحمدية إقبالها على تعلم كتاب ربها وتعليمه، وحرصها على حفظه وتحفيظه، ولذا فقد أسست لذلك الدور والمراكز والمدارس القرآنية؛ فتجد الناشئ من أبنائها يلتحق بتلك المحاضن الإيمانية والمجالس القرآنية منذ نعومة أظفاره، وباكورة صباه؛ ليتلقى فيها كلام ربه عز وجل، ويدخل إلى صدره نور آياته المباركات.

ويوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة؛ تتداعى الهمم لإقامة هذه الحلقات القرآنية في أقطار شتى من الأرض هدفها: تبليغ كتاب الله عز وجل وتعليمه للصغار والكبار، للذكور والإناث من أبناء الأمة.

ولقد أخذت هذه الحلقات القرآنية منذ أول ظهور لها حتى عصرنا الحاضر - رغم الاختلاف في منهجها وطريقتها - في التمدد والتوسع على مستوى عالمنا الإسلامي بدويلاته وأقلياته والفضل لله عز وجل أولاً وآخراً، ثم لجهود المخلصين والصادقين من أبناء الأمة الذين وهبوا أنفسهم للقرآن، وبذلوا أوقاتهم لنشر أنواره في الخافقين.

أما عن نقطة البداية لهذه الحلقات القرآنية التي من ورائها انطلقت في آفاق الدنيا، وسارت مع مسير رسالة الإسلام شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً؛ لتشمل أصقاعاً من الأرض عديدة وأرجاء من الكون فسيحة، فحيث حل الإسلام في بلد أو قطر وجدت لهذه الحلقات القرآنية تواجداً فيه ومكاناً، فلن يتسنى لنا معرفة تلك البداية لهذا الحلقات النورانية، وتطور نشأتها الربانية؛ إلا إذا عدنا بعجلة الزمان قليلاً إلى الوراء، وجعلنا الذكرى تضرب في أعماق الزمن؛ لتوقفنا هناك على أول حلقة قرآنية تشَرّف الكون بانعقادها، تلك الحلقة التي انعقدت في منطقة رحبة من الأرض بين الأمينين: أمين أهل السماء جبريل عليه السلام، وأمين أهل الأرض محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك حين بزغ أول شعاع من أنوار الإسلام.

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث (وهو التعبد) فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ((ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقارئ، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلتُ:

ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}(القلم:1-3)، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده".[1]

لتبقى بعد ذلك كلمة "اقرأ" أول كلمة افتتح بها ذلك اللقاء المبارك بين الأمينين، و"غار حراء" أول الأمكنة التي تشرف بذلك اللقاء، وما إن انفضت تلك الحلقة بين الأمينين إلا وانعقدت بعدها مباشرة حلقة أخرى بل حلقات بين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم يأخذون فيها دور الإنصات للوحي، ويأخذ صلى الله عليه وسلم دور التلقين لما نزل إليه من الله سبحانه، وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم من أولى الأماكن التي تشرفت بهذا الفضل.

ثم تعددت أماكن اللقاء بعد ذلك خلال مدة نزول الوحي، وتنوعت أزمنته وأشكاله؛ لتنتقل هذه الحلقات القرآنية من مكة المكرمة إلى طيبة الطيبة، فقد كان انتشار هذا النور فيها أوسع، فأهلها هم الأنصار الذين فتحوا قلوبهم للذكر والتنزيل، وأسلموا أرواحهم فداء له.

ولقد كان أول سفير للنبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم إليها كما هو معلوم هو مصعب بن عمير رضي الله عنه، فقد اختاره عليه الصلاة والسلام مبعوثاً إليها قبيل هجرته، يفقِّه أهلها في دين الله، ويعقد فيها أولى الحلقات القرآنية مع أسعد بن زرارة الخزرجي رضي الله عنه تالياً على الناس ما معه من كتاب ربه، حتى سُمي عند أهلها بالمقرئ.[2]

وزاد هذا النور انتشاراً قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها، حيث تولى بنفسه مهمة الإقراء والتعليم لكتاب الله عز وجل فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " أقبل أبو طلحة رضي الله عنه يوماً فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم يُقرئ أصحاب الصفة، على بطنه فصيل من حجر؛ يقيم به صلبه من الجوع ..."[3]

وامتلأ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلقات الإقراء، يفتتحها النبي عليه الصلاة والسلام، ويُشرف على اختيار جلة أصحابه لتوليها يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه (وهو أنصاري): "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، وكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت فكنت أقرئه القرآن..."[4]

وقد افتتح رضي الله عنه حلقة للقرآن الكريم بين أهل الصُّفَّة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وقال في ذلك: "علَّمتُ ناساً من

أهل الصُّفَّة الكتابة والقرآن."[5]

ويكفي دليلاً على سعة انتشار حلقات القرآن الكريم، وكـثرة حفَّاظ القـرآن من الصـحابة في المدينة: إرسـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم سبعين من الصحابة كانوا يُسمَّون بالقراء إلى خـارج المدينـة لنشـر القـرآن وتعليمـه، فغـدر الكفـار بهم وقَتلـوهم - رضـوان اللّٰه عليهم - ببـئر "معونة"، فقنت النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قبـل الركـوع شـهراً يـدعو على مَن قتلهم، ثم تـركهم لمَّا جـاءوا تـائبين مسلمين.[6]

وقد ذكر أبو عبيـد في كتـاب "القـراءات" القـراء من أصـحاب النـبي صلى الله عليه وسلم فعدَّ من المهاجرين والأنصار عـدداً لا بـأس به[7]**، وأثبت الحافظ الذهبي في معرفة القـراء أن هـؤلاء الصـحابة هم الذين بلغنا أنهم حفظـوا القـرآن في حيـاة النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، وأخـذ عنهم عرضـاً، وعليهم دارت أسـانيد قـراءة الأئمـة العشرة، وقد جمـع القـرآن الكـريم غـيرهم من الصـحابة... ولكن لم تتصل بنا قراءتهم."**[8]

وعن هؤلاء الصحابة وغيرهم تلقَّى بقية الصـحابة القـرآن الكـريم فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "مات النبي صـلى اللـه عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة ... قـال: ونحن ورثنـاه" رواه البخاري برقم (4620).

ثم تخرج على أيدي هؤلاء الصحابة من التابعين في المدينـة سـيد التـابعين: سـعيد بن المسـيب، وأبـو عبـد الـرحمن السُـلَمِي مقـرئ الكوفة، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيـز، وسـليمان وعطـاء ابنـا يسـار، وكـان بمكـة منهم: عطـاء بن أبي ربـاح، وطـاووس، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي مليكة.

وهكذا تتـابع الخـير، وانتشـر ليصـل الكوفـة دوي حلقـات القـرآن الكريم وذلك حين نزلها ابن مسعود رضي الله عنه بأمر من عمر بن الخطاب في السـنة السـابعة عشـرة من الهجـرة، وبنزولـه الكوفـة أصبح لهـا دوي بـالقرآن الكـريم كـدوي النحـل، وفاضـت مسـاجدها بحلقاته المباركة إقراء وتلقيناً، ومدارسـة وتفسـيراً فقـد روي عن علي رضي الله عنه أنه سمع ضجة شديدة في مسجد الكوفة فقال: "ما هؤلاء؟ قالوا: قوم يقرؤون - أو يتعلمـون - القـرآن، قـال: طـوبى لهؤلاء، أما إنهم كانوا أحب الناس إلى رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم."[9]

وكان ممن تخرج على يديـه رضـي اللـه عنـه من حفـاظ التـابعين: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمـرو بن شـرحبيل والربيـع بن خثيم وعمرو بن ميمـون وأبـو عبـدلرحمن السـلمي وزر بن حـبيش وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وغيرهم."[10]

وما زالت هذه الحلقات القرآنية تشق طريقها المشع نـوراً لتفيض من سناها على بلدان كثيرة من أمثال البصرة وبلاد الشـام، ومصـر واليمن.

وما زال الخير يكثر، والتركـيز يشـتد في أنحـاء الدولـة الإسـلامية على العناية بتلاوة القرآن الكريم وحفظـه حـتى روي أنـه لمـا ولي عمر بن عبـدالعزيز رضـي اللـه عنـه كـانوا يلتقـون فيقـول الرجـل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم ومـتى ختمت؟[11]

وحتى ظهر هناك من وصفوا بأنهم قد تجردوا لهذا الأمر، وصاروا أئمة يقتدى بهم في هذا الشأن، ويرحل إليهم من أجله.

وقـد عـد منهم بالمدينـة وبمكـة، وبالكوفـة وبالبصـرة، وبالشـام وبمصر، "واشتهر من هؤلاء في الآفاق أئمة القراءات السـبع الـذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، وخصَّهم بالذكر لما اشتهروا به عنـده من الضبط والأمانـة وطـول العمـر في ملازمـة القـراءة، واتفـاق الآراء على الأخذ عنهم وهم:

1- **أبو عمرو بن العلاء شيخ الرواة: وراوياه: الدوري، والسوسي**.

2- **ابن كثير: وراوياه: البزي، وقنبل**.

3- **نافع المدني: وراوياه: قالون، وورش**.

4- **ابن عامر الشامي: وراوياه: هشام، وابن ذكوان**.

5- **عاصم الكوفي: وراوياه: شعبة، وحفص**.

6- **حمزة الكوفي: وراوياه: خلف، وخلاد**.

7- **الكسـائي الكـوفي: وراويـاه: أبـو الحـارث، وحفص الدوري**.[12]

وعن هؤلاء تلقت الأمة كتاب ربها مشافهة جيلاً بعد جيـل، ودهـراً بعـد دهـر، يتلقـاه الأصـاغر عن الأكـابر غضـاً طريـاً بأسـانيد عاليـة، وروايات سارية في حلقات تفيض بنـور الـوحي، ودسـتور السـماء، لتتوسع في زماننـا هـذه الحلقـات، وتنشـأ من ورائهـا دور ومعاهـد ومدارس تصب جام اهتمامها في تعليم كتاب الله عز وجل وتعليمه، ويخص القـائمين عليهـا ذلـك الشـرف الـذي نبـه إليـه نبينـا الأعظم وهادينا الأكرم محمد صلى الله عليه وسـلم حين قـال: ((خـيركم من تعلم القرآن وعلمه))، قال: وأقرأ أبو عبـدالرحمن في إمـرة عثمـان حتى كان الحجاج، قـال: وذاك الـذي أقعـدني مقعـدي[13]**، فجلس في**

مجلس الإقراء ما يقارب أربعين سنة.

ولعلنا نرى بأم أعيننا اليوم المساجد بالحلقات عامرة، وبحَمَلَةِ القرآن غامرة، يتسامرون على تلاوة كتاب ربهم وترتيله، ويلتقون على مدارسته وتجويده، ولله المنة والفضل.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا العناية بالقرآن حفظاً وعلماً، وتعليماً وعملاً لعلنا نكون من أهل الله وخاصته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

1 **رواه البخاري برقم** (3)**، ومسلم برقم** (231)**.**

2 **صفة الصفوة لأبي الفرج** (1/121)**، تحقيق**: **محمد فاخوري ود. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة - بيروت، ط. الثانية** (1399هـ-1979م)**.**

3 **رواه الطبراني في المعجم برقم** (20693)**.**

4 **رواه أحمد برقم** (22818)**، وقال شعيب الأرناؤوط**: **إسناده حسن من أجل بشر بن عبد الله السلمي.**

5 **رواه أبو داود برقم** (3418)**، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم** (2157)**.**

6 **رواه البخاري برقم** (2836)**، ومسلم برقم** (1090)**.**

7 **الإتقان في علوم القرآن للسيوطي** (1/249)**، تحقيق**: **محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،** (**ط**1394-1974م)**.**

8 **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** (1/42)**، تحقيق**: **بشار عواد معروف وشعيب الأرناوؤط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. الأولى** (1404هـ)**.**

9 **رواه البزار برقم** (874)**.**

10 **الحلقات القرآنية لعبد المعطي طليمان** (36 **وما بعدها**) **بتصرف، الناشر**: **دار نور المكتبات** (1421هـ-2000م)**.**

11 **تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري** (4/29)**، الناشر**: **دار الكتب العلمية - بيروت، ط. الأولى** (1407هـ)**.**

12 **الإتقان في علوم القران** (1/253)**.**

13 **رواه البخاري برقم** (4639)**.**